

سما، اولاد الصغار

في روسية

بقلم الاب توتل البدوي

هو الله مبدع الانسان ، ومؤسس العائلة ، قال لأبويننا الابوين ولذريتهما :
« اثرا وتسلواوا » وربطهما بعقدة الزواج العديدة الانقسام ، حفظاً لحياة البنين
وتربيتهم ؛ واعلن في الوصية الرابعة الواجبات المتبادلة بين الابوين والبنين صيانة
لبقا، الجنس البشري . وجاء المسيح ، فلم يغير التاموس القديم ، بل تممه فجعل
الزواج سرّاً من اسرار البيعة السبعة وحرم الطلاق وقال : « ما جمعه الله لن
يفرقه انسان » (متى ١٩ : ٦ ؛ مر ١١ : ٩) ورمق البنين خاصة بعين حنان الهي
ورأفة لا حد لها ، فتهدّد باشد العقوبات من يبرأ على اذاهم وقال : « من
شكك احد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فاجدر له لو علّق في عنقه حجر الرمح
وزجّ في لجة البحر » (متى ١٨ : ٦) فلا عجب من ثم ان زى الكنيّة
الكاثوليكية تمسك بالمبدأ الالهي ، فتعلن وحدة الزواج وقداسته ، وتراعي
حقوق الابوين وتعظمهما كما عظهما الخالق بالوصية الرابعة ، وتبذل قصارى
جهدهما في العناية بالاولاد منذ دخولهم العالم : فتحضنهم بالمسودية ، وتثبتهم
بنعمة الله بالمديون ، وتسنّ في سبيل صالحهم الروحي والمادي سائر الشرائع ،
التي من شأنها ان تحفظ الله جيلاً مختاراً وامّة مقدسة . (١ بطر ٢ : ٩٥)
اما البلاشفة الشيوعيون فمن جملة ما اترفوه على الحياة الاجتماعية من الجنائيات
انهم سحقوا نظام العائلة ، وجرّدوا الابوين من سلطتها ، واتخذوا الناشئة آلة
اختبارية لتطبيق مبادئهم الجنونية ، واستمدرها في سبيل الدعاية الى الشيوعية

والمكافحة عن الثورة العامة التي ينفون اثارها في العالم . واليك ملخصات اقوالهم :

« ان العائلة انما هي اختراع من مخترعات الكنيسة ، ونظام غرضه مجارة الفئة الغنية على اميالها بالتسرع برغد العيش ورفاهيته . فن واجب الشيوعيين اتلاف العائلة ... ولا بد لهم بلوغ غرضهم من ان يقبضوا على زمام المرأة ... فيجب اذن عليهم ان ينحبوها من بيتها ، ويمتروا فيها عاطفة الانانية وغريزة الحب الاموي . » وقالوا : « لا بأس من كيان الزواج لكنه لا يربط الزوجين بواجب حقيقي متبادل ولا يضطرهم الى السكنى معاً او الى حفظ العهود . ويكفي ان يعرب احدهما عن ارادته بالطلاق لكي يتم الطلاق شرعاً ... »

وبلغ من البلاشفة الكبرياء وعماء البصيرة الى الاشادة بيادهم على رؤوس الملا ، والدعاية الى اعتناقها ، زاعمين انها الدواء الشافي لادوائنا الاجتماعية وانها قديرة ان تُعيد للجنس البشري عصره الذهبي بل ترجع به الى سعادة الفردوس واليك حادث مصداقاً لكلامنا :

في ١٤ نيسان من العام ١٩١٨ ، قام تروتسكي احد زعماء بلشفية موسكو وخطب في جمهور من العمال ، فقال :

« ابنا سنشى . دولة الاخاء . وهذه الدولة هي الارض التي اوردتناها الطبيعة . فنأتي على استنباط خيرات الارض طبقاً لمبادئ التضامن ، فنقلب وجهها ونجعلها جنة رحيمة غناء ، ومرتجاً يرح فيها اولادنا كانوا الفردوس ! كانت ايام آمن فيها البشر بحقيقة الاساطير الفردوسية . لكن ايمانهم لم يكن الا اضغاث احلام وغروراً لتلهف نفس الانسان الاسيرة شغفاً بجياة حتى ... اما نحن فنقول ان تلك اللجنة سنخلقها على الارض بايدي العمال وسوف تكون مفتوحة للجميع لاولادكم واولاد اولادكم على مدى الدهور »^{١)}

وما يؤسف له كثيراً ان بعض المجلات والصحف العربية تعلق بكل

١) Rézanof, la 3^e Internationale communiste, Le Komintern. Bossard,

حديث متطرف وتشد به ، وغايتها القسوى ان تلهي القراء بكل ما امكناها من حسن او قبيح فتقص عليهم من اخبار البلشفية ، ومن حركات التجدد في البلاد المسكوبية ، وترقية الامة وتخليصها ، ما يوهم الذنج ان هناك نهضة ورقياً . اما الحقيقة فان بلاد المسكوب التابعة اخذت تبيد عن بكرة ابيها لان دودة الحراب تنخر عظامها بشخص بنينا التساعين ، كأن لعنة المسيح حلت عليها . كيف لا وقد زعزت اركان العائلة ، وشككت الاولاد الصغار فاصبحوا اولاد افراع ، وانتقلوا على اهمم الرووم شر منقلب : نشأوا قطعياً هائلاً بهم على وجهه في مشارق البلاد ومقارباها ، يجر الاوبئة والدمار ويقف شاهداً حياً على المنحطاط الاداب ، فيسم جهة البلاد الروسية بسمة الذل والعار . وسوف زى ان حكرمة السوثيات نفسها صارت تنظر الى امر الاولاد المتروكين بجيرة وخشية وان الصحافة والمجلات لا تأتي على حديث في بلاد المسكوب الا وتذكر فيه الاولاد المتروكين عبرة وانذاراً

* * *

في العام ١٩٢٨ ظهر كتاب عنوانه « موسكو على المكشوف » الفه رجل قضى خمساً وثلاثين سنة في روسية ، فكان في الماضي قنصل بلجيكة فيها ، ثم ندب ممثلاً لجمعيات الاسعاف التي تألفت لاغاثة المنكوبين في روسية . هذا الرجل هو سير جوزف دريه^١ وصف حالة الانحطاط الادبي الذي صارت اليه بلاد السوثيات فقال . (وجه ١٠٣) :

قد يكون تأثير العائلة ونفوذ الابوين حائلاً دون باروغ المدرسة البلشفية غايتها من نفس ستمها في الناشئة واسقاطها في دركات الامار ؛ ولكن اين العائلة؟ واين هما الابوان للاولاد الايتام او المتروكين؟

سلبت البلشفية الافراد حقوق الملك ، فسيت الفقر المدقع ، وطرحت سكان قرى برمتها فريسة للجوع . اما الذين نجوا من مخاطبه فبأهوا في البراري والمدن ، ملتصين لقمه يدرون بها رمقهم . هلك الكبار في التيار الهائل ، وعاش الصغار . فتكونت منهم نواة ما عمت ان غت وتفاقم شرها بسبب

البلشفية . لان حكومة السوفييات ، باعلانها سقوط العائلة وحلها عقدة الزواج ، فكّت اواصر القرابة ، واخرجت البنين عن طاعة الابوين وادستهم على وجوههم فمضوا وانضموا الى الهاريين من يرأثن الجوع وصاروا آفةً من آفات البلاد اذ اصبحوا جيشاً جواراً دأبه الخراب .

احصت مجلة العالمين عددهم فقالت : لقد اختلفوا في احصائهم . فقالوا انهم كانوا ملايين بين ١٩٢٢ و ١٩٢٤ وقالوا بضع مئات الوف ، او عشرات الوف ، في العام ١٩٢٥ .

ونشرت الموسوعة السوفياتية ، للعام ١٩٢٨ ، احصاء الاولاد المتروكين فقالت انهم ٣٣٤٠٠٠ . ان البون لثاسع بين احصاء واحصاء . فما هي الحقيقة ؟ هي ان الحكومة قلّت عدد الاولاد المتروكين خشية من إثارة الرأي العام في البلاد عليها .

والاعداد الضخمة اقرب الى الحقيقة . جاء في اعمال مؤتمر السوفييات الثالث عشر (١٩٢٢) : « نقصنا الاولاد المتروكين في المراكز العظمى ، فتوهم الناس انهم قتلوا عدداً في البلاد كافة . ولكن اخبار الولايات تبدد الاوهام . » وفي العام ١٩٢٨ ، اعترفت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بان الاولاد المتروكين في شوارع المدن فقط يمضون بالالف . وقالت جريدة البرافدا : « لا مثالة بالقول ان عدد المتروكين من الاولاد الى اليوم لا يزال يحصى بالملايين . »

كيف يعيش هؤلاء البانسون . ليس منهم في ملاجئ الحكومة الاقصة صغيرة . اما السواد الاعظم منهم فيسبحون في البلاد : يقصدون الى اماكن الاصطياف ، شمالاً في فصل الحر ، ثم يرجعون على احقابهم ويرحلون الى الجنوب ايام الشتاء . وقد يفضلون الاقامة في المدن وخاصة في موسكو على امل ان يجدوا فيها معيشتهم بطرائق سهلة ؛ وقد يدفهم اليها احياناً رغبتهم بالعلم ورجاؤهم بدخول مدرسة . فيجولون الشوارع ويستعطون ويسرقون ويمتالون على ايجاد مأواهم في الليل . الى اين الذهاب ؟ الى البيوت الخراب ، الى المحطات في حاقلات القطار الحديدية ، الى اينما حصلوا على مقوف او محل دافئ ولو جوف قدر الاسفلت الواسعة المخصصة لطبخ اسفلت الطرقات ، وعلى هذا المنهج

يسلكون في موسكو وفي غيرها من المدن الكبرى كليشغراد وقازان وسامري ورستوف واودسا.

ويلاه ا الى اي عمق هبط البلشفيون بالناشئة الروسية . وما اشد قسوتهم على الاولاد الصغار ا ان هولاء. الساكنين المتروكين اغلبهم من عائلات العمال والفلاحين وهم بازيداد يوماً على يوم . جرى احصاء سنة ١٩٢٧ ، جاء فيه ان ١٥ بالمئة من المتروكين عمرهم يتراوح بين الثلاث والسبع سنوات ؛ و٥٧ بين الثامنة والثلاثة عشرة . وهذا دليل واضح على انهم جاؤوا الى الوجود على عهد البلاشفة فلا حبذا عهد الترحش والذل ا

وان من كان البلاشفة اوصياهم صاروا مرتحماً للمفسد والذائل . فانتشرت في مصاف الاولاد المتروكين جرائم الامراض الجسدية والروحية : السكر ، والقسار ، وشرب المخدرات كالكوكايين ، وتسرّبت في عروقهم سموم الامراض الزهرية . وزادت حالتهم الرثة وقهرهم المدقع وقاحة ونشاطاً على ارتكاب الجنائيات . فابتدأوا بسرقة الخبز واستحلوا مال الحرام . وصاروا يتراطنون على السيدات في الطرقات يعدو احدهم بسرعة الباشق فينتزع الكيس الذي في يدها ، واذا قارمته عضها بناهه ربا ويبلها من عضه المعتصب الصغير المصاب بالامراض المعدية .

ورب صغير بينهم لم يردعه رادع عن ارتكاب القتل . فيا لها من ناشئة تعسا . يا لها من أمة بازة ا

وضعوا لائحة الجرائم في الجمهورية الاشتراكية المتحدة السوفيتية المسكوبية فكان عدد الجنائيات التي ارتكبتها الاولاد المتروكون خارجاً عن موسكو ٢٩,٥٢٧ منها ١٣,٦٤١ سرقات خييل . ٨٨ سرقات بالسلاح ، ومنها ٢٦٥ اضرامات النار تعمداً ، و ١١٨ قتل و ٣٢٤ تقطيع اعضاء وجروحات . و ٢٣٦ جريمة ضد الاداب .

وكان بين ١١٨ قاتل ، عشرون يتراوح عمرهم بين عشرة واثنتي عشرة سنة ، واثنان وعشرون دون السنة العاشرة من عمرهم . وكانت نكبات الحريق تقريباً كلها من صنيع اولاد لم يتجاوز عمرهم الحادية عشرة .

اما في موسكو فقد احضروا عام ١٩٢٥ امام لجنة القضاء للغير بالتين
رشدم ٢٤٤٥ ولداً كان منهم ٤٠٠ مريض و ١١٤ ممتلاً من تأثير المخدرات
و ١٦ مريضاً بالسيفيلس و ٥٥ ممتوهاً.

وفي العام ١٩٢٦ بين ١٠٢ ولداً من المتروكين المروضين للفحص كان
اثنان فقط لا يستملان المخدرات . ومن ١٩٢١ الى ١٩٢٤ وقف خمسون
الفا امام لجنة القضاء للاحداث وكان منهم خمسة بالمئة مصابين بالامراض الممدية .
نعم ان حكومة السوفيات فتحت ملاجئ للاولاد المتروكين ولكن عددها
وتجهيزها دون المطلوب بما لا يقدر . ان اثنين واربعين بالمئة من الملاجئ ليس فيها
اسرة كافية لعدد الاولاد فينام هؤلاء اثنين او ثلاثة في سرير واحد . وقد عشتت
فيها الحشرات كالقمل والبق والبراغيث ، وهي ناقصة من الحاجيات الضرورية لصحة
الاولاد وتعليمهم . والشاهد على الحالة التعيسة المخيبة على ملاجئ الحكومة
هي الصحافة البلشفية نفسها : وصفت الملاجئ السابع عشر في مدينة قازان
قالت : « هي غرفة صغيرة ملوثةا فرشات لا الحقة عليها . هناك خرق بالية
عوض الكتان . وفي كل سرير ولدان . والفرشات محشوة حشيشاً ياباً متناً
كويه الرائحة . وبالقرب من الشيايك برك مياه تجمعت من ذوبان الثلج . ساقوا
الاولاد الى الحلم في الربيع مرة واحدة فقط ، وانقطعوا من ثم عن تسليمهم .
وليس في الملاجئ حنيفة . وكل يوم في الساعة السابعة صباحاً ، وفي البرد القارس ،
يتراكض الاولاد عارين في الطريق ليعتلوا بالحنفيات العمومية . »

ومن هم المعلمون في تلك المعاهد ؟ منهم المعلم هكيوف وقد طرد من
وظيفته لما اثبت عليه من الجنائيات المخالفة للاداب وادت الحالة التعيسة
ببعض البنات الى الانتحار للتخلص من الحمل والولادة ا ومنهم استاذ آخر !
هو سيدر الشيوعي الذي لا ينفك عن الضرب وهو يكتسي وبكسي عائلته
بالاقمشة التي ارسلها المحنون للارلاد . اما هؤلاء الساكين فليس عليهم الا
لباس الكتان في قلب الشتاء ، ولا بدلة لهم ، ولا احذية ، وهم في حاجة الى
من يعلمهم النظافة ويمتني بهم . وقد اصبحت دور النظافة والاقامة في الملاجئ
اشبه بالمراحيض .

وهذه الحالة على تعاستها تتفاقم يوماً فيوماً ، لان الوثقيات عاجزون عن مواصلة اسعاف الاولاد المتروكين . كان عدد اللاجئين منهم الى دور الحكومة ٥٤٠,٠٠٠ سنة ١٩٢١ . ثم صار ٢٥٢,٣١٧ عام ١٩٢٣ ، الى ان بلغ ٢٠٠,٠٠٠ عام ١٩٢٧ ، فتنقلص ظلمهم في الملاجئ ، لا عن قلة عددهم في البلاد وهم فيها ملايين كما بينا سابقاً ، ولكن لانهم لم يستطيعوا الصبر على مصاعب ملاجئ الحكومة . فمن هذه الادلة كفاية للشهادة على النظام السوفيياتي الحالي بانه عاجز عن مداواة الذاة ، وايراء الاولاد المتروكين وتزويدهم بما يحتاجون اليه من العناية في سبيل تربيتهم نفساً وجسداً .

وفي كلامنا حجة دامغة على ان الذين تقضوا نظام العائلة ، وهددوا سلطة الايوان وشككوا الصغار ، استمطروا على نفوسهم لعنة المسيح ومقت البشر . ولملك تهز رأسك ، ايها القارئ اللبيب ، وتقول : لقد نخلت في بلادنا الشرقية كوارث عدة ، اما البلشفية فنحن آمنون شرها والحمد لله ! ولكن هل خطر على بالك أن للبلشفية يداً عاملة في الشرق ، وان لها فيه جيشاً لا يستهان بعدده . في العام ١٩٢١ احصوا عدد الجيش الشيوعي الدولي فكان في مصافه ١٥٠٥ من سكان مصر ، و ٥٠٠ من سكان فلسطين ، و ٢٠٠٠ من اهل العجم ، و ٥٠٠٠ من غيرهم .

وثرت الصحف في حينها^(١) اخبار علاقات الثوار السوريين مع الشيوعيين الافرنسيين المتفقين مع موسكو على احداث الثورة البشرية العامة . وأكد لنا الخبراء^(٢) ان البلشفية هي المناصرة لكل عناصر الاضطراب في الشرق ، والمعادية لروح الانتدابات كافة ، لا طمأ بان تكتب للبلاد الشرقية استقلالها ولكن لتسقطها في وهدة الفوضى كما نشاهد الامر في افغانستان . فيصير الشريون بين يديها آلة هائلة تنفخ نيران الحروب اعلى العالم . فليس اذن خطر البلشفية بعيداً عنا ، كما انه ليس بعيداً عن سائر العالم . ولذلك دعانا الاب الاقدس في رسالة الصلاة ، في شهر آذار ، الى الابتهاال طالبين من الله عز وجل ان يكسر شوكة الشيوعيين الملحددين ويعطي العالم الامن والسلام .